

التبيان في تفسير القرآن

(542) وصرفه تصريفاً، وتصرف تصرفاً، وصارفه مصارفةً، انصرف انصرافاً. وقوله تعالى " الذين يتكبرون في الارض " والتكبر اظهار كبر النفس على غيرها، وصفة متكبر صفة ذم في جميع البشر، وهو مدح في صفات اﷻ تعالى، لانه يستحق اظهار الكبر على كل شئ سواه، لان ذلك حق، وهذا المعنى في صفة غيره باطل، فمعنى الآية الاخبار من اﷻ انه يصرف عن ثواب آياته " الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها " يعني الذين اذا شاهدوا الحجج والبراهين لا ينقادون لها، ولا يصدقون بها " وان يروا سبيل الرشـد لا يتخذوه سبيلا " ومعناه انهم متى رأوا سبيل الصلاح عدلوا عنه، ولم يتخذوه طريقاً لهم بمعنى انهم لا يعملون بذلك " وان يروا سبيل الغي.. " يعني وان يروا ضد الرشـد من الكفر والضلال سلوكه وارتكبوا معصية اﷻ في ذلك. وقوله تعالى " ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا " يحتمل ذلك أن يكون في موضع رفع أي امرهم ذلك، ويحتمل ان يكون نصبا أي فعلنا بهم ذلك، لانهم تكبروا وكذبوا، ومعناه: أفعـل ذلك بهم، يعني صرفي لهم عن ثواب الايات الجزيل والمنزلة الجليلة. ومن قال من المجبرة: ان اﷻ تعالى يصرفه عن الايمان قوله باطل، لانه تعالى لا يجوز ان يصرف احداً عن الايمان، لانه لو صرفه عنه ثم أمره به لكان كلفه ما لا يطيقه، وذلك لا يجوز عليه تعالى. وأيضاً فان اﷻ تعالى بين انه يصرفهم عن ذلك في المستقبل، جزاء لهم على كفرهم الذي كفروا، فكيف يكون ذلك صرفاً عن الايمان ! وقيل: إن معنى الآية أي سأصرف عن آياتي، ولأظهرها لهم كما أظهرتها للمؤمنين، ويريد بذلك المعجزات الباهرات، لعلمي بأن إظهارها مفسدة لهم يزدادون عندها كفراً، تبين ذلك في قوله تعالى " وان يروا سبيل الرشـد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ".